

[32 الف] عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار أبو الحسن قاضي القضاة الأسدي. سمع جماعة وأكثر عن الزبير بن عبد الواحد وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع ومذاهب المعتزلة في الأصول وله في ذلك مصنّفات وقيل بلغت تصانيفه ألفاً. حدّث عنه القاضي الصيمري والتونخي وغيرهما. سمعت بمدينة أسدآباد القاضي أبا الفضل التيمي رحمه الله، وأسديّاد مولد قاضي القضاة، قال: كان قاضي القضاة رحمه الله في إبتداء أمره يذهب مذهب الأشعري وآبائه وأجداده على ذلك فلما خرج إلى بغداد لتفقه وكان بها أبو عبد الله المرشد وكان من تلامذة أبي هاشم رحمه الله فسمع كلامه فأعجبه فكان يجيء إليه خفية من أصحابه الأسديّة لكي لا يخبروا أباه وأبوه وأجداده كانت إليهم رئاسة الأشعرية بأسديّاد ثم اطلع أصحابه على سرّه فيغيّبوا إلى أبيه أنّ ابنك خالط المعتزلة وأخذ برأيهم فتأسف أبوه على ذلك فلما كمل أمر قاضي القضاة ببغداد في الأصول والفروع أراد أن يجيء إلى بلده وكان يخفي الإعتزال فلما خرج من بغداد وبلغ مدينة كَنَكُود وهي قرية من أسديّاد ما رأى أحداً من المستقبلين وكان في ظنه أنّ الناس يستقبلونه إلى حلوان فعرف أنّ أباه اطلع على ذلك فرجع من كَنَكُور إلى بغداد وأظهر الإعتزال إلى أن استدعاه الصاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عباد إلى الري. قال المصنف: فحدثني قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن الحسن الأسديّ بالري رحمه الله، وقت اجتيازي بها إلى مكة، قال: لما استوزر الصاحب بعث إلى الشيخ أبي عبد الله المرشد أن ابعث إليّ من أصحابك أحداً أقرأ عليه وأطارحه فبعث إليه بأذكي أصحابه فكان عنده إلى أن قال له الصاحب يوماً وهما على المائدة: لا تجمع بين هذين

اللونين فإنها يضرك [32 ب] فقال في الجواب: الصاحب الجليل يتطبّب على مائدته فحجل الصاحب من جلسائه فبعث إلى أبي عبدالله المرشد أن أبعث إلى من أصحابك من يجمع بين أدب النفس وأدب الدرس فبعث إليه بالقاضي عبدالجبار بن أحمد. فحدثني من آدابه أنه كان يجلس في مجلس الصاحب وكان مجلسه من البكرة إلى الظهر فما تحرك يداً ولا رجلاً فكان الصاحب يتعجب من حلمه ووقاره إلى أن رآه يوماً من الأيام حرك رجله مرتين فقال الصاحب للخدام: انزعوا خفه فنزعوه فإذا فيه عقرب لدغته فعرف حينئذ أنه لا يدانيه أحد في جمعه بين أدب النفس وأدب الدرس فولاه حينئذ قضاء القضاء فسار قضاؤه مثلاً في البلاد لأنه نسخ من تقدمه من القضاة المعتزلة كأحمد بن أبي دؤاد وآله وأبي خازم وأضرابهم حتى جمعت كتبه الحكيمة وصكوكه الوقفية وصنفت تصانيف يستعين بها من يحتاج إليها ورباه الصاحب في أيامه تربية عجز البلغاء عن وصفها وعلت درجة قاضي القضاة عبدالجبار حتى كان يحسده. فحدثني قاضي القضاة الأسترابادي أنّ قاضي القضاة عبدالجبار كان يكتب إلى الصاحب في أول أمره خادمه عبدالجبار ثم صار يكتب فداؤه عبدالجبار ثم أخذ يكتب عبدالجبار فأخذ الصاحب كتابه فحكّ منه عبد وقال لأصحابه: هو الجبار بن أحمد فحجل القاضي وكان الصاحب عنه سيفاً قاطعاً عند الملوك وأعداء المعتزلة إلى أن توفي الصاحب سنة نيف وثمانين وثلثمائة رحمه الله فصودر قاضي القضاة ونكب وكان يقول: هذا جزاء من لم يمت مع أقرانه ومرّني في كتاب شرح العيون لشيخ الإسلام الجشمي رحمه الله في بعض ما ذكره به فقال: ومن القضاة المعتزلة قاضي القضاة أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد

أجزل الله ثوابه. ليست تحضرني عبارة تنبيء عن محله في الفضل وعلو منزلته في العلم فإنه الذي فتق الكلام ونشره ووضع فيه الكتب الكثيرة الجليلة التي سارت بها الركبان وبلغت الشرق والغرب وإليه انتهت رئاسة المعتزلة حتى صار شيخها غير مدافع وصار الاعتماد على كتبه حتى نسخ من تقدّم من المشايخ وقرب عهده وشهرة حاله تغني عن الإطناب عن وصفه وفيه يقول أبو سعد الآبي من قصيدة له في التوحيد والعدل ويعدّ مشايخ أهل العدل:

أمّ لكم مثل إمام الأمر قاضي القضاة سيد الأئمة

من بثّ دين الله في الآفاق وبثّ جبل الكفر والنفاق

والقصيدة طويلة.

قال الحاكم: وكان يقول في التفضيل بمذهب الشيخين في التوقف ثم رجع في آخر عمره وقال بتفضيل أمير المؤمنين وقال: صحّ عندي حديث الطير فورخوه عني وكان الصاحب يقول فيه مرة: هو أفضل أهل الأرض ومرة يقول: هو أعلم أهل الأرض وقال الحاكم: حدثني الشيخ أبو خازم الرازي، قال: يحكى أن قاضي القضاة أراد أن يقرأ فقه أبي حنيفة على الشيخ أبي عبدالله المرشد فقال: هذا علم [33 الف] كل مجتهد فيه مصيب وأنا فيهم فكن أنت في أصحاب الشافعي فكان بلغ في الفقه مبلغاً عظيماً وله إختيارات ولكن وفر أيامه على الكلام ويقول: للفقهاء أقوام يقومون به طلباً لأسباب الدنيا وعلم الكلام فلا غرض فيه سوى الله تعالى وكان شيخنا أبو حامد رحمه الله قرأ عليه وعاد مرة بعد أخرى وكان يحكي من أحواله

في العلم والتكشف شيئاً عظيماً وكان يتواضع مع أصحابه ويتكبر عند العوام وأصحاب السلطان.
قال أبو حامد: لما أردت الحج زودني كتاباً إلى أبي بكر الخوارزمي ببغداد وهو أستاذ
الصيمري وكان الخوارزمي حينئذ فقيه بغداد ومدرسها . فقال قاضي القضاة في ذلك الكتاب:
موصِّل هذا الكتاب ولدي الفقيه أبو حامد يضرب في العلبين بسهم وآخر فلها أوصلته إليه
أكرمني وأعطاني ما التمسته ويقال: أنّ لقاضي القضاة أربعمئة ألف ورقة مما صنف في كل
فنّ وكان موفقاً في التصنيف والتدريس وكتبه تتنوع أنواعاً فله رحمه الله كتب في الكلام لم
يسبق إلى تصنيفه مثله في ذلك الباب نحو كتاب الدواعي والصوارف والخلاف والوفاق
وكتاب الخاطر وكتاب المنع والتمنع وكتاب ما يجوز فيه التزايد وما لا يجوز إلى أمثال ذلك وله
أما لي كثيرة نحو المغني والفعل والفاعل وكتاب المبسوط وكتاب المحيط وكتاب الحكمة والحكم
وشرح أصول الخمسة ونحوها وله رحمه الله كتب في الشروح لم يسبق إلى مثلها كشرح
الجامعين وشرح الأصول وشرح المقالات وله كتب في تكملة كتب المشايخ صنفها على مثل
¹ ومعنى كتكملة الجامع وتكملة الشرح وله كتب في أصول طريقتهم وزاد حسناً وجودة لفظاً
الفقه جامعة لم يسبق إلى مثلها كالنهاية والعمد وشرح العمدة وله كتب في النقض على
المخالفين وكتبهم أوضح فيها بطلان قولهم كنقض اللمع ونقض الإمامة وله كتب في مسائل
وردت عليه من الآفاق وأجاب عنها نحو الطرميات والرازيات والعسكريات والقاشانيات
والمصريات والنيسابوريات والخوارزميات وله كتب في المسائل التي وردت على المشايخ

لفظاً: لفظ ¹

فأجابوا عنها بصحيح وفاسد فبين رحمه الله ذلك وتكلم عليه ككلامه في المسائل الواردة على أبي الحسين وأبي القاسم وأبي علي وأبي هاشم وله كتب في الخلاف بين الشيخين وله كتب على أهل الأهواء الخارجين عن الإسلام وغيرهم أوضح فيها الحق كشرح الآراء ونحوه وله كتب في علوم القرآن منها المحيط والأدلة والتنزيه والمتشابه وله كتب في المواعظ كنصيحة المتفقهة وشهادات القرآن ثم له كتب في كل فن بلغني أساميها ولم يبلغني متونها نحو كتاب² والكوفيّات والجلل والعقود وشرحه والمقدمات والجدل والحدود وغير التجريد والمكيّات ذلك مما يكثر تعدادها وذكر جميع مصنفاته يتعذر ثم اتفق له من الأصحاب ما لم يتفق لأحد من رؤساء الكلام وحكي أنه أصابه النقرس في آخر عمره فاحتاج إلى الخروج [33 ب] فحمله الأشراف على عواتقهم ولما فرغ رحمه الله من كتاب المغني بعث به إلى الصاحب فكتب إليه كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم. أتمّ الله تعالى على قاضي القضاة نعمته وأجزل لديه مننه لقد أتمّ من كتاب المغني ذخيرة للموحد وشجى للملحد وعتاداً للحقّ وسداداً للباطل وأنه لكتاب يفخر به شرعنا على الشرع ونحلتنا على النحل وأمتنا على الأمم وملتنا على الملل وفقه الله له حين نامت الخواطر وكلت الأوهام وظنّ الظانون بالله أن العلم قد قبض ونخاعه قد ضعف وأن شيوخه الأعلون قد شاكت نعامتهم وخفت بضاعتهم ووهي كاهلهم ودرج أفاضلهم ولم يدروا أن في سرّ الغيب من إن كان آخرّاً بالاضافة إليهم إنه لأول

والمكيّات: تصحيح في الحاشية²

³ولو كره المشركون فليعزّ قاضي بالامامة عليهم كذلك يفعل الله ليظهره على الدين كله
القضاة أدام الله تمكينه عيناً ما قدّم لنفسه وأخر واكتسب لغده وذخر وليزّين في عنوانه إن
شاء الله تعالى من ثواب ما دأب فيه واحتسب وشهر ليله وانتصب صابراً على كدّ الخواطر
ومُعانياً بردّ الأصائل إلى جرّ الهواجر أثقل من أحد وأوزن وأوفى من الدحل وأرزن يوم تجد
كلّ نفس ما علمت من خير محضراً وورد محمد ولدنا بالنبا العظيم والصراط المستقيم من الجزء
الأخير من كتاب المغني فقلت: يا بشرى هذا زاد المسافر وكفاية الحاضر وتحفة المرتاد
وطفقت أنشيء وأقول:

ولو أبشر الشيخان عمروً وواصلٌ

لقالا لقد جوربت خيراً وأنعما

فأتمّ الله على قاضي القضاة نعمه كما أدرّ علينا دلمه والسلام

وحدثني صدر الشريعة أبو المؤيد المكي رحمه الله وجزاه عني خيراً أنه لما عزل قاضي القضاة
عبد الجبار بن أحمد وولي مكانه قاضي القضاة علي بن عبدالعزيز الجرجاني أحد مفاخر جرجان
لا بل خراسان فقهاً ونظماً وثرّاً وفصاحة وهو الذي له كتاب الوساطة كتاب ما صنّف مثله
وله القطعة الغراء في صفة فساد العلماء وهي قوله:

ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

وهو الذي مدحه الصاحب في قوله:

إذا نحن سلّمنا لك العلم كله فدع هذه الألفاظ تنظم شذورها

جمع رحمه الله بين كلام المعتزلة وبين فقه الشافعي رحمه الله وله كتب جياذ في كل فن وكان

رحمه الله مجمعا للفضائل إلّا أنه كان فيه بعض الخفة حتى أنّ واحداً من تلامذة قاضي

عبدالجبار حضر مجلس قضائه يوماً فتقدّم إليه خصمان ولجأ في الخصومة بين يديه وعجز عن

الفصل بينهما فجزع وقام وفرّق ثيابه. قال الراوي: فعبته وخرجت من مجلسه وكتبت إليه كتاباً

ذكرت فيه أنّي حضرت مجلس قضاء قاضي [34 الف] القضاة عبدالجبار بن أحمد رحمه الله

ضحوة فوقفت على وجهه الشدة وهي ذبابة الكلاب فأخذت يمّص دمه فما ذبّها حتى قام من

مجلس قضائه وقت الظهر أفلا تسير بسيرة رجل بلغ حلمه ووقاره إلى هذا المقدار بل مرّقت

ثيابك طيشاً وخفة حتى قبّحت اسم القضاء. قال: ثمّ إني دخلت مجلس قضائه بعد ذلك

فرأيت حلماً ووقاراً وبهاء بمجلسه حتى تعجّبت من ذلك فصبرت حتى قام من مجلسه فشكرت

له ما استعمل من الحلم والوقار. فقال لي: شكر الله سعيك فهذا بركة كتابك ونصيحتك وها

هو ذا (؟) في الرقّ جعلته قبلة أطلعه كلّ يوم ثمّ أجلس بمجلس قضائي، فهذه بركات قاضي

القضاة عبدالجبار بن أحمد رحمه الله حياً وميتاً وقال أبو سعد السّمان رحمه الله، وهو أحد

تلامذته: دوّخت البلاد فما دخلت بلداً وناحية إلا وفيها من أخذ عن قاضي القضاة
عبدالجبار وتلمذ له. قيل روى أبو سعد (في الحاشية: السمان؛ صح) عن ثلاثة آلاف شيخ
لكثرة رحله في دار الإسلام، وسمعت صدر الشريعة موفقاً رحمه الله أن قاضي القضاة لما
دخل بغداد بعد القضاء دخل معه من أصحابه أصحاب الأردية ستمائة رجل وما كان يلبس
الرداء وقتئذٍ إلا المبرد الكامل فقس على هذا سائر الأصحاب، وسمعت الإمام أبا القاسم
المؤذني رحمه الله يذكر عن الشيخ المعروف بجليل رحمه الله أن قاضي القضاة رحمه الله صنف
ألف تصنيف وكان الصاحب رحمه الله يزن تصنيفه وكان يفايز به إما فضة وإما ذهباً حتى
صنف المحيط بالتفاسير ففائزه بالجواهر مرتين تعظيماً لكتاب الله تعالى، وحكي أنه حسبت
أيام تصانيفه وكان يصنف في كل يوم وليلة خمس طبقات فبلغت ثلاثة آلاف مجلدة، فرحمه
الله فلقد أتعب من بعده وقيل: كان يصنف كل يوم وليلة طبقتين والله أعلم بذلك، وذكر
4 كما نخر خوارزم رحمه الله أن واحداً من أبناء الملوك دخل مجلس قاضي القضاة فجلس
يجلس الأمراء، فقال قاضي القضاة: إنما يجلس عندنا هكذا من يحفظ المغني الكبير فقام
الشاب وجلس في الزاوية فكانت الزاوية مجلسه حتى حفظ المغني الكبير، ثم قال له قاضي
القضاة: الآن فاجلس عندنا تلك الجلسة، ولقاضي القضاة فضائل ومناقب يشتمل على أجزاء
كثيرة لكنها ما وقعت بخوارزم وقصرت بالعراق عن طلبها، وذكر الحاكم الجشمي رحمه الله
في شرح كتاب العيون، وكذا سمعت بالعراق، أن قاضي القضاة توفي سنة خمس عشرة أو

مجلس قاضي القضاة فجلس: مكرر مشطوب⁴

ست عشرة وأربعمئة بمدينة الري ودفن بها وزرت بحمد الله تعالى قبره في داره في شهر
رمضان سنة خمس وأربعين وخمسائة ورأيت في داره صكوكه الوقفية المكتوبة بيده فتبركت
بها رحمه الله رحمة واسعة.